## المبحث الرابع
## الآثار العلمية والعملية للكتابة في القواعد القرآنية

**وفيه مطلبان:**

### المطلب الأول
### نماذج تطبيقية لقواعد قرآنية

من أهم الجوانب التي تكشف **ضرورة العناية بهذا الموضوع**: أنه دعوة إلى التعلق بالقرآن، وربط الناس عملياً به بأسلوب ميسر، يجعل القارئ أو المستمع يستوعب معنى القاعدة باختصار، ثم تذكر له أمثلة واقعية من حياته، تعالج سلوكاً خاطئاً، أو تنمي قيمة أخلاقية موجودة عنده، أقول هذا عن كثب، وعن معايشة؛ فقد لمستُ من تفاعل الناس مع تجربتي المتواضعة في برنامجي الذي قدّمته في إذاعة القرآن الكريم في السعودية بعنوان «**قواعد قرآنية**»[(١)] ما كشف لي أن تقريب معاني القرآن لعموم المسلمين من أوجب الواجبات، وأهم ما ينبغي أن يعتني به المهتمون بالدراسات القرآنية، بعد أن غدت كثير من البحوث والدراسات في هذا الحقل لا تخاطب إلا النخبة!

وأكتفي بهذا المثال من أمثلة كثيرة لمستها من تفاعل المستمعين: أنني حينما تحدثت عن قاعدة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] راسلني

---

(١) وقد يسّر الله لي تقديم ٥٠ حلقة على مدار عام كاملٍ، وهو عام ١٤٣٠هـ.

أحدهم -وأنا لا أعرفه- وأقسم لي بالله أنه تائب من استنقاص الناس بسبب النعرات العصبية والقبلية، والتي أعادتها جذعة بعضُ القنوات الفضائية بواسطة بعض البرامج الشعرية.

ومن باب ضرب المثال؛ فإنني أكتفي ههنا بذكر ثلاث قواعد قرآنية، من التي عرضتها في ذلك البرنامج المشار إليه، من غير تغيير، وهي كما يلي:

**المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.**

أول هذه القواعد التي نبتدئ بها، هي قاعدة من القواعد المهمة في باب التعامل بين الناس، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

إنها قاعدة تكرر ذكرها في القرآن في أكثر من موضع، إما صراحة أو ضمناً:

فمن المواضع التي توافق هذا اللفظ تقريباً: قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقريب من ذلك: أمره سبحانه بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أما التي توافقها من جهة المعنى فكثيرة كما سنشير إلى بعضها بعد قليل.

إذن: تأمل في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ جاءت في سياق أمر بني إسرائيل بجملة من الأوامر، وهي في سورة مدنية -وهي سورة البقرة- وقال

قبل ذلك في سورة مكية -وهي سورة الإسراء- أمراً عاماً: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ ... إذاً فنحن أمام أوامر محكمة، ولا يستثنى منها شيء إلا في حال مجادلة أهل الكتاب كما سبق.

ومن اللطائف مع هذه الآية ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أن هناك قراءة أخرى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ بفتح الحاء والسين.

قال أهل العلم: «والقول الحسن يشمل: الحسن في هيئته، وفي معناه، ففي هيئته: أن يكون باللطف، واللين، وعدم الغلظة والشدة، وفي معناه: بأن يكون خيراً؛ لأن كل قولٍ حسنٍ فهو خير؛ وكل قول خير فهو حسن» [(١)].

إننا نحتاج إلى هذه القاعدة بكثرة، خاصةً وأننا في حياتنا نتعامل مع أصناف مختلفة من البشر، فيهم المسلم وفيهم الكافر، وفيهم الصالح والطالح، وفيهم الصغير والكبير، بل ونحتاجها للتعامل مع أخص الناس بنا: الوالدان، والزوج والزوجة والأولاد، بل ونحتاجها للتعامل بها مع من تحت أيدينا من الخدم ومن في حكمهم.

**من صور تطبيقات هذه القاعدة:**

وأنت -أيها المؤمن- إذا قلَّبت القرآن؛ وجدتَ أحوالاً نص عليها القرآن **كتطبيق عملي لهذه القاعدة**، فمثلاً:

---

(١) ينظر: تفسير العثيمين: (٣/ ١٩٦).

١- تأمل قول الله تعالى -عن الوالدين-: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ إنه أمرٌ بعدم النهر، وهو متضمن للأمر بضده: وهو الأمر بالقول الكريم، الذي لا تعنيف فيه.

٢- وكذلك أيضاً فيما يخص مخاطبة السائل المحتاج: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ بل بعض العلماء يرى عمومها في كل سائل: سواء كان سائلاً للمال أو للعلم، قال بعض العلماء: «أي: فلا تزجره ولكن تفضل عليه بشيء، أورده بقول جميل»[(١)].

٣- ومن التطبيقات العملية لهذه القاعدة القرآنية، ما أثنى الله به على عباد الرحمن، بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ يقول ابن جرير -رحمه الله- في بيان معنى هذه الآية: «وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب»[(٢)].

وهم يقولون ذلك «لا عن ضعف ولكن عن ترفع، ولا عن عجز إنما عن استعلاء، وعن صيانة للوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع»[(٣)].

---

(١) تفسير الألوسي: (٢٣/ ١٥).

(٢) تفسير الطبري: (١٩/ ٢٩٥).

(٣) ينظر: الظلال: (٥/ ٣٣٠).

إن من المؤسف أن يرى الإنسان كثرة الخرق لهذه القاعدة في واقع أمة القرآن، وذلك في أحوال كثيرة منها:

١- أنك ترى من يبشرون بالنصرانية يحرصون على تطبيق هذه القاعدة، من أجل كسب الناس إلى دينهم المنسوخ بالإسلام، أفليس أهلُ الإسلام أحق بتطبيق هذه القاعدة، من أجل كسب الخلق إلى هذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله لعباده.

٢- في التعامل مع الوالدين.

٣- في التعامل مع أحد طرفي الحياة الزوجية.

٤- مع الأولاد.

٥- مع العمالة والخدم.

وقد نبهت آية الإسراء إلى خطورة ترك تطبيق هذه القاعدة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾، وعلى من ابتلي بسماع ما يكره أن يحاول أن يحتمل أذى من سمع، وأن يقول خيراً، وأن يقابل السفه بالحلم، والقولَ البذيء بالحسن، وإلا فإن السفه والرد بالقول الرديء يُحسِنه كل أحد.

**أفتى الإمام مالك** –رحمه الله– لبعض الشعراء بما لا يوافقه، فقال: يا أبا عبدالله، أتظن الأمير لم يكن يعرف هذا القضاء الذي قضيته؟!.

قال: بلى.

قال: إنما أرسلنا إليك لتصلح بيننا فلم تفعل، بالله لأقطعن جلدك هجاءاً!

فقال له الإمام مالك:

إنما وصفتَ نفسك بالسفه والدناءة! وهما اللذان لا يعجز عنهما أي أحد، فإن استطعتَ أن تأتي الذي تنقطع دونه الرقاب فافعل: الكرم والمروءة![1].

**المثال الثاني: قوله تعالى:** ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

هذه قاعدة عظيمة لها أثرٌ بالغ في حياة الذين وعوها، واهتدوا بهداها، قاعدة لها صلة بأحد أصول الإيمان العظيمة: ألا وهو (الإيمان بالقضاء والقدر)، وتلكم القاعدة هي قوله سبحانه وتعالى -في سورة البقرة في سياق الكلام على فرض الجهاد في سبيل الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] [البقرة: ٢١٦].

وهذا الخير المُجمَل، فسَّره قوله تعالى في سورة النساء -في سياق الحديث عن مفارقة النساء-: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فقوله: ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ مفسِّر وموضِّح للخير الذي ذُكر في آية البقرة، وهي الآية الأولى التي استفتحنا بها هذا الحديث.

---

(١) انظر: ترتيب المدارك: (١/ ٥٩).

(٢) لابن القيم كلام نفيس في الفوائد يحسن الاستفادة منه (٢٤٦) ط. عيون.

**ومعنى القاعدة باختصار:**

أن الإنسان قد يقع له شيء من الأقدار المؤلمة، التي تكرهها نفسه، فربما جزع، أو أصابه الحزن، وظن أن ذلك المقدور هو الضربة القاضية على آماله وحياته، فإذا بذلك المقدور يصبح خيراً على الإنسان من حيث لا يدري.

**والعكس صحيح**: كم من إنسان سعى في شيءٍ ظاهره خيرٌ، واستماتَ في سبيل الحصول عليه، وبذل الغالي والنفيس من أجل الوصول إليه، فإذا بالأمر يأتي على عكس ما يريد، هذا هو معنى القاعدة القرآنية التي تضمنتها هذه الآية باختصار.

إنك إذا تأملت الآيتين الكريمتين الأولى والثانية، وجدت أن الآية الأولى -التي تحدثت عن فرض الجهاد- تتحدث عن ألم بدني وجسميٍّ قد يلحق المجاهدين في سبيل الله -كما هو الغالب-، وإذا تأملت الآية الثانية -وهي آية مفارقة النساء- وجدتها تتحدث عن ألم نفسي يلحق أحد الزوجين بسبب فراقه لزوجه!

وإذا تأملت في آية الجهاد؛ وجدتها تتحدث عن عبادة من العبادات، وإذا تأملت آية النساء؛ وجدتها تتحدث عن علاقات دنيوية.

إذن: فنحن أمام قاعدة تناولت أحوالاً شتى: دينية ودنيوية، وبدنية ونفسية، وهي أحوال لا يكاد ينفك عنها أحد في هذه الحياة التي:

**جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقذاء والأقذار**

وقول الله أبلغ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

إذا تبين هذا -أيها المؤمن بكتاب ربه- فاعلم أن إعمال هذه القاعدة القرآنية من أعظم ما يملأ القلب طمأنينة وراحةً، ومن أهم أسباب دفع القلق الذي عصف بحياة كثير من الناس؛ بسبب موقف من المواقف، أو بسبب قدر من الأقدار المؤلمة -في الظاهر- جرى عليه في يوم من الأيام!

ولو قلبنا قصص القرآن، وصفحات التاريخ، أو نظرنا في الواقع لوجدنا من ذلك عبراً وشواهدَ كثيرة، لعلنا نُذَكِّر ببعض منها، عسى أن يكون في ذلك سلوةً لكل محزون، وعبرةً لكل مهموم:

١- قصة إلقاء أم موسى لولدها في البحر!

فأنت إذا تأملتَ وجدتَ أنه لا أَكْرَه لأمِّ موسى من وقوع ابنها بيد آل فرعون، ومع ذلك ظهرت عواقبه الحميدة، وآثاره الطيبة في مستقبل الأيام، وصدق ربنا: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

٢- وتأمل في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام تجد أن هذه الآية منطبقة تمام الانطباق على ما جرى ليوسف وأبيه يعقوب عليهما الصلاة والسلام.

٣- تأمل في قصة الغلام الذي قتله الخضر بأمر الله تعالى؛ فإنه علل قتله بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾ [الكهف: ٨٠-٨١]

توقف -أيها المؤمن وأيتها المؤمنة عندها قليلاً-:

كم من إنسان لم يقدِّر الله تعالى أن يرزقه بالولد، فضاق لذلك صدره؟! -وهذا شيء طبعي- لكن الذي لا ينبغي أن يستمر: هو الحزن الدائم، والشعور بالحرمان الذي يقضي على بقية مشاريعه في الحياة!

وليت من حُرِم نعمة الولد يتأمل هذه الآية، ليس ليذهب حزنه فقط، بل ليطمئن قلبه وينشرح صدره، وليته ينظر إلى هذا القَدَر بمنظار النعمة والرحمة، وأن الله تعالى قد يكون صرف هذه النعمة رحمةً به! وما يدريه؟ لعله إذا رُزق بولد أن يكون هذا الولد سبباً في شقاء والديه وتعاستهما، وتنغيص عيشهما! أو تشويه سمعتهما.

٤- وفي مقدمات غزوة بدرٍ، يربي القرآن في أتباعه على هذا المعنى، فيقول: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥-٦] فكم كتب الله للمؤمنين من الخير والعزة والهيبة للمسلمين بعد هذه الغزوة التي كره أصحاب النبي ﷺ فيها خيار القتال!

٥- وفي السُنة النبوية نجد هذا لما مات زوج أم سلمة: أبو سلمة رضي الله عنهما، تقول أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها».

قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟ ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ![1].

فتأمل هذا الشعور الذي انتاب أم سلمة -وهو بلا شك ينتاب بعض النساء اللاتي يُبتلين بفقد أزواجهن، ويتعرض لهن الخُطّاب- ولسان حالهن: ومن خير من أبي فلان؟! فلما فعلتْ أم سلمة ما أمرها الشرع به من الصبر والاسترجاع وقول المأثور؛ أعقبها الله خيراً لم تكن تحلم به.

وهكذا المؤمنة... يجب عليها أن لا تختصر سعادتها، أو تحصرها في باب واحد من أبواب الحياة، نعم... الحزن العارض هذا شيء لم يسلم منه ولا الأنبياء والمرسلون! إنما الذي لا ينبغي: هو اختصار الحياة أو السعادة في شيء واحد، أو رجل، أو امرأة، أو شيخٍ!

٦- في الواقع قصص كثيرة جداً، أذكر منها: أن رجلاً قدم إلى المطار، وكان مجهداً بعض الشيء، فأخذته نومةٌ ترتب عليها أن أقلعت الطائرة، وفيها ركاب كثيرون يزيدون على ثلاثمائة راكب، فلما أفاق، وإذا بالطائرة قد أقلعت قبل قليل، وفاتته الرحلة، فضاق صدره، وندم ندماً شديداً، ولم تمض دقائق على هذه الحال التي هو عليها حتى أُعلن عن سقوط تلك الطائرة، واحتراق من فيها بالكامل!

---

(١) مسلم برقم (٩١٨).

**والسؤال**: ألم يكن فوات الرحلة خيراً لهذا الرجل؟! ولكن أين المعتبرون والمتعظون؟ والخلاصة: أن المؤمن عليه:

**أن يسعى إلى الخير جهده ... وليس عليه أن تتم المقاصد**

وأن يتوكل على الله، ويبذل ما يستطيع من الأسباب المشروعة، فإذا وقع شيءٌ على خلاف ما يحب، فليتذكر هذه القاعدة القرآنية العظيمة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وليتذكر أن من لطف الله بعباده: «أنه يُقدِّر عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمةً بهم ولطفاً، وسوقاً إلى كمالهم، وكمال نعيمهم»[1].

ومن ألطاف الله العظيمة: أنه لم يجعل حياة الناس وسعادتهم مرتبطة ارتباطاً تاماً إلا به سبحانه وتعالى، وبقية الأشياء يمكن تعويضها، أو تعويض بعضها:

**من كل شيء إذا ضيعته عوضٌ ... وما من الله إن ضيعتهُ عوضُ**

**المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾:**

إن هذه الآية تعتبر قاعدة من القواعد السلوكية التي تدل على عظمة هذا الدين وشموله وعظمة مبادئه، وهذه الآية الكريمة جاءت في سياق آيات

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (٧٤) للسعدي.

الطلاق في سورة البقرة، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

**ومعنى القاعدة باختصار**: أن الله تعالى يأمر من جمعتهم علاقة من أقدس العلاقات الإنسانية -وهي علاقة الزواج- أن لا ينسوا -في غمرة التأثر بهذا الفراق والانفصال- ما بينهم من سابق العشرة، والمعاملة.

وهذه القاعدة جاءت بعد ذلك التوجيه بالعفو: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ كلُّ ذلك لزيادة الترغيب في العفو والتفضل الدنيوي.

وتأمل في التأكيد على عدم النسيان، والمراد به الإهمال وقلة الاعتناء، وليس المراد النهي عن النسيان بمعناه المعروف؛ فإن هذا ليس بوسع الإنسان.

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ تعليل للترغيب في عدم إهمال الفضل، وتعريض بأن في العفو مرضاة الله تعالى، فهو يرى ذلك منا فيجازي عليه[(١)].

إن العلاقة الزوجية -في الأعم الأغلب- لا تخلو من جوانب مشرقة، ومن وقفات وفاء من الزوجين لبعضهما، فإذا قُدّر وآل هذا العقد إلى حل عقدته بالطلاق؛ فإن هذا لا يعني نسيان ما كان بين الزوجين من مواقف الفضل

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢/ ٤٤٣) لابن عاشور. ط: مؤسسة التاريخ العربي. بتصرف.

والوفاء، ولئن تفارقت الأبدان، فإن الجانب الخلقي يبقى ولا يذهبه مثل هذه الأحوال العارضة.

وتأمل في أثر العفو: فإنه يقرب إليك البعيد، ويُصيِّر العدو صديقاً.

بل وتذكر -يا من تعفو- أنه يوشك أن تقترف ذنباً، فيعفى عنك إذا تعارف الناس الفضل بينهم، بخلاف ما إذا أصبحوا لا يتنازلون عن الحق.

ولله ما أعظم هذه القاعدة لو تم تطبيقها بين الأزواج! وبين كل من تجمعنا بهم رابطة أو علاقة من العلاقات!

لقد ضرب بعض الأزواج -من الجنسين- أروع الأمثلة في الوفاء، وحفظ العشرة، سواء لمن حصل بينهم وبين أزواجهم فراق بالطلاق، أو بالوفاة.

**أذكرُ نموذجاً وقفتُ عليه**، ربما يكون نادراً، وهو لشخص أعرفه، طلق زوجته -التي له منها أولاد- فما كان منه إلا أسكنها في الدور العلوي مع أولاده الذين بقوا عندها، وسكن هو في الدور الأرضي، وصار هو الذي يسدد فواتير الاتصالات والكهرباء ويقوم تفضلاً بالنفقة على مطلقته، حتى إن كثيراً ممن حوله من سكان الحي لا يدرون أنه مطلق! وإني لأحسبه ممن بلغ الغاية في امتثال هذا التوجيه الرباني: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، نعم هذا مثال عزيز، لكني أذكره لأبين أن في الناس خيراً.

دعونا نقف قليلاً عند موقف عملي ممن كان خلقَه القرآن ﷺ، لنرى كيف كان يترجم القرآن عملياً في حياته: وذلك أن أنه ﷺ لما رجع من الطائف، بعد أن

بقي شهراً يدعو أهلها، ولم يجد منهم إلا الأذى، رجع إلى مكة، فدخل في جوار المطعم بن عدي، فأمر أولاده الأربعة فلبسوا السلاح، وقام كل واحد منهم عند الركن من الكعبة، فبلغ ذلك قريشاً فقالوا له: أنت الرجل الذي لا تُخفر ذمتك!

ومات المطعم بن عدي مشركاً، لكن النبي ﷺ لم ينس له ذلك الفضل، فأراد أن يُعبِّر عن امتنانه لقبول المطعم بن عدي أن يكون في جواره، في وقت كانت مكة كلها -إلا نفراً يسيراً- ضد النبي ﷺ، فلما انتهت غزوة بدر قال ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النَّتْنى لتركتهم له»[1].

**والمعنى**: لو طلب مني تركهم وإطلاقهم من الأسر بغير فداء لفعلت؛ ذلك مكافأة له على فضله السابق في قبول الجوار، فصلوات الله وسلامه على معلم الناس الخير.

**من صور تطبيقات هذه القاعدة:**

في حياتنا مجموعة من العلاقات -سوى علاقة الزواج-: إما علاقة قرابة، أو مصاهرة، أو علاقة عمل، فما أحرنا أن نطبق هذه القاعدة في حياتنا؛ ليبقى الود، ولتحفظ الحقوق، وتتصافى القلوب؛ وإلا فإن مجانبة تطبيق هذه القاعدة الأخلاقية العظيمة، يعني مزيداً من التفكك، ووأداً لبعض الأخلاق الشريفة.

ومن العلاقات التي لا يكاد ينفك عنها أحدنا: علاقة العمل -سواء كان حكومياً أو خاصاً، أو تجارةً-، فقد تجمعنا بأحد من الناس علاقة عمل، وقد تقتضي الظروف أن يحصل الاستغناء عن أحد الموظفين، أو انتقال أحد

---

(١) صحيح البخاري، رقم (٢٩٧٠).

الأطراف إلى مكان عمل آخر برغبته واختياره، وهذا موضع من مواضع هذه القاعدة؛ فلا ينبغي أن يُنسى الفضل بين الطرفين، فكم هو جميل أن يبادر أحد الطرفين إلى إشعار الطرف الآخر: أنه وإن تفرقنا -بعد مدة من التعاون- فإن ظرف الانتقال لا يمكن أن ينسينا ما كان بيننا من ود واحترام، وتعاون على مصالح مشتركة؛ ولذا فإنك تشكر أولئك الأفراد، وتلك المؤسسات التي تُعبِّر عن هذه القاعدة عملياً بحفل تكريمي أو توديعي لذلك الطرف؛ فإن هذا من الذكريات الجميلة التي لا ينساها المحتَفَى به، وإذا أردتَ أن تعرف موقع وأثر مثل هذه المواقف الجميلة، فانظر إلى الأثر النفسي السلبي الذي يتركه عدم المبالاة بمن بذلوا وخدموا في مؤسساتهم الحكومية أو الخاصة لعدة سنوات، فلا يصلهم حتى خطاب شكر!

**ومن ميادين تطبيق هذه القاعدة:** الوفاء للمعلمين، وحفظ أثرهم الحسن في نفس المتعلم وأعرف معلماً من رواد التعليم في إحدى مناطق بلادنا، ضرَب مثالاً قيماً للوفاء؛ إذ لم يقتصر وفاؤه لأساتذته الذين درسوه، بل امتد لأبنائهم حينما مات أساتذته -رحمهم الله-، ويزداد عجبك حين تعلم أنه يتواصل معهم وهم خارج المملكة، سواء في مصر أو الشام، فلله در هذا الرجل، وأكثرَ في الأمة من أمثاله.

ورحم الله الإمام الشافعي يوم قال: «الحر من حفظ وداد لحظة، ومن أفاده لفظة».

**وفي واقعنا مواضع كثيرة لتفعيل هذه القاعدة القرآنية الكريمة:**

فللجيران الذين افترقوا منها نصيب، ولجماعة المسجد منها حظ، بل حتى العامل والخادم الذي أحسن الخدمة، ولهذه القاعدة حضورها القوي في المعاملة، حتى قال بعض أهل العلم: «من بركة الرزق: أن لا ينسى العبد الفضل في المعاملة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ بالتيسير على الموسرين، وأنظار المعسرين، والمحاباة عند البيع والشراء، بما تيسر من قليل أو كثير؛ فبذلك ينال العبد خيراً كثيراً»[(١)].

نسأل الله تعالى أن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال؛ لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يعيذنا من سيئها؛ لا يعيذ منها إلا هو سبحانه.

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٣٧).

## المطلب الثاني

## مقترحات علمية تتعلق بالكتابة في هذا الموضوع

أطرح في هذا المطلب بعض المقترحات العلمية التي قد تفيد في خدمة هذا الموضوع:

**أولاً**: أن هذا الموضوع بِكْرٌ في حقل الدراسات القرآنية، وهو جدير بالبحث والعناية من قبل الباحثين والباحثات.

**ثانياً**: أرى أهمية تحديد وضبط القاعدة القرآنية، وما دون ذلك من «الضوابط»، حتى يكون العمل أكثر إتقاناً، ودقة.

**ثالثاً**: أقترح أن تنشط أحد المجامع العلمية، أو المؤسسات الخيرية لتبني بناء موسوعة تحمل هذا العنوان: «موسوعة القواعد القرآنية» مع مراعاة ما يلي:

١- أن يتم تحرير هذا المصطلح بشكل دقيق ما أمكن ذلك.

٢- أن يكون الانطلاق في صياغة هذه القواعد من اختيار آيات قرآنية يصدق عليها تعريف القاعدة القرآنية، فإن كلام الله ﷻ أبلغ الكلام، ولا يمكن أن يضاهيه أي بيان، بالإضافة إلى الفائدة التي أشرت إليها في ثنايا البحث؛ من كون هذا يفيد قاعدة وحكماً.

٣- حتى يكون لهذه القواعد النفع الأكبر، ولتكتمل الفائدة منها، فإنني أقترح أن يتم التعليق على هذه القواعد بما يوضح معانيها، ويربطها بواقع الناس؛ ليتمكن الناس من الإفادة منها، وعلاج مشاكلهم بهذا القرآن الذي جعله الله شفاءً للأدواء الحسية والمعنوية، وليتيقنوا أن هذا

القرآن -حقاً- يهدي للتي هي أقوم، وهو -أيضاً- يوفر مادة غنية للخطباء، والمحاضرين، والوعاظ، فلا شيء أفضل ولا أنفع من التذكير بهذا القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، أما مجرد إعداد موسوعة وسرد القواعد فيها سرداً؛ فهذا مما يضعف الإفادة من هذه القواعد، والله أعلم.

٤- أن يدرج هذا الموضوع المهم «القواعد القرآنية» ضمن فروع المؤتمرات التي تعقد لخدمة القرآن، أو النظر في الدراسات القرآنية.